

النقاد الشعراء

رأينا من قبل ارتباط النقد بالشعر، وأشرنا إلى نوع من النقد الذاتي، حيث ينظر الشاعر في قصيدته فيقوم ببعض التعديل والتنقيح باعتباره باثاً ومتلقياً في الوقت نفسه، وقد ينقد الشاعر شاعراً آخر، فقد كان النابغة الذبياني في العصر الجاهلي حكماً في الأسواق حيث تضرب له قبة من أدم، وتنشده الشعراء قصائدها فيحكم بينها، كما فعل مع الخنساء والأعشى وحسان بن ثابت، وكذا الشأن في العصر الإسلامي فقد مارس حسان بن ثابت النقد إذ استشاره عمر بن الخطاب في قصيدة الحطيئة التي هجا بها الزبرقان كما استشاره ذات الخليفة في قصيدة النجاشي التي هجا بها بني العجلان، وبناء على هذا الحكم النقدي عاقب الخليفة عمر الحطيئة بالحبس وهدد النجاشي بالعقاب إن هو عاد إلى الهجاء المقذع.

وفي العصر الأموي استمر نقد الشعراء، وتركز هذا النوع من النقد في بيئة العراق على شعراء العصر الأموي المشهورين وهم جرير والأخطل والفرزدق.

تفضيل جرير

اتفق الفرزدق والأخطل على أنّ جريراً أسيرهما شعراً، فقد ورد في كتاب الأغاني أن الفرزدق خرج يوماً بعض ملوك بني أمية، فرُفِع له في طريقه بيت أحمر من أدم، فدنا منه وسأل فقيل له الأخطل، فأتاه فقال: انزل. فلما نزل قام إليه الأخطل، وهو لا يعرفه إلا أنه ضيف - فقعدا يتحدثان. فقال له الأخطل ممن الرجل؟ قال: من بني تميم. قال: فإنك إذن من رهط أخي الفرزدق. فقال: تحفظ من شعره شيئاً؟ قال: نعم، كثيراً، فماز الا يتناشدان، ويتعجب الأخطل من حفظه شعر الفرزدق إلى أن عمل فيه الشراب، وقد كان الأخطل قد قال له قبل ذلك: أنتم معشر الحنيفية لاترون أن تشربوا من شرابنا. فقال له الفرزدق: حفظ قليلاً وهات من شرابك فاسقاً، فلما عملت الرّاح في أبي فراس قال: أنا والله الذي أقول في جرير، فأنشده، فقام إليه الأخطل فقَبِل رأسه وقال: لاجزاك الله عني خيراً لم كتمتني نفسك منذ اليوم، وإذاهما في شرابهما وتناشدهما، إلى أن قال له الأخطل: والله إنك وإياي لأشعر منه، ولكنه أوتي من سير الشعر ما لم نؤته

وحكم جرير لنفسه بالتفوق على صاحبيه، مع اعترافه بكفاءة شعريتهما الشعرية، يروى أن عكرمة بن جرير سأل أباه قائلاً: يا أبة من أشعر الناس؟ فقال الجاهلية تريد أم الإسلام؟

قلت: أخبرني عن الجاهلية، قال شاعر الجاهلية زهير، قلت: فالإسلام؟ قال: نَبَعَةُ الشَّعْرِ الفرزدق، قلتُ فالأخطل: قال يُجيدُ صفة الملوك، ويصيب نعت الخمر، قلت: فماتركت نفسك؟ قال: دعني فأني بَحْرَتُ الشَّعْرُ بحرًا⁽¹⁾ وفي خبر آخر ورد في كتاب الأغاني أن عبد الملك بن مروان أو ابنه قال لجرير: << من أشعرُ النَّاسِ؟ قال: ابنُ العشرين، قال فما رأيك في ابني أبي سلمى؟ قال: كان شعرهما نيرًا يأمير المؤمنين. قال: فماتقول في امرئ القيس؟ قال: اتخذ الخبيثُ الشَّعْرَ نعلين، وأقسم بالله لو أدركته لرفعت ذلائله (ذلائل الثوب: أطرافه التي تتصل بالأرض). قال فما تقول في ذي الرمة؟ قال قدر من ظريف الشعر وغريبه وحسنه مالم يقدر عليه أحد قال: فماتقول في الأخطل؟ قال: ما أخرج ابن النصرانية مافي صدره من الشعر حتى مات. قال: فماتقول في الفرزدق؟ قال: في يده والله يأمير المؤمنين نبعه (النبع شجر صلب تتخذ منه القسي والسهام) من الشعر قد قبض عليها. قال: فما أراك أبقيت لنفسك شيئًا. قال: بلى والله يأمير المؤمنين، إني لمدينة الشعر التي منها يخرج وإليها يعود: نسبتُ فأطربتُ، وهجوتُ فأرديتُ، ومدحتُ فسُنيتُ (أسناه رفع منزلته)، وأرملتُ (قلت على بحر الرمل) فأغزرتُ، ورجزتُ (الرجز) فأبحرتُ، فأنا قلت ضروب الشعر كلها، وكل واحد منهم قال نوعا واحدا. قال: صدقت >>⁽²⁾

فجرير في هذه المحاورة يفضل من شعراء الجاهلية ابن العشرين وهو طرفة بن العبد، وفي موضع سابق كان قد فضل الشاعر زهير بن أبي سلمى، فهذه العبارة "أفضل الشعراء" تتبدل بتبدل المكان والزمان، وليست حكمًا ثابتًا عامًا، إنه يخضع للحظة الراهنة التي تعقب الاستماع للقصيدة، أو التركيز على موضوع معين، وهذا ما يحل إشكالية تناقض الأحكام بين الحكام وتارة لدى الحكم الواحد كما رأينا عند جرير الذي حكم هذه المرة لطفرة من شعراء الجاهلية، وعندما سأله السائل عن ابني زهير وهما كعب وبجير وصف شعرهما بأنه نير، وأما امرؤ القيس فقال عنه إنه انتعل الشعر أي تحكم فيه واعتلاه، وقال إنه لو أدركه لرفع ذلائله، ويقول بعض الدارسين أي خدمت الشاعر ولازمته ولعله يريد رفع ذلائل الشعر أي منافسة الشاعر في هذا التفوق، بحيث لا يتركه يهين الشعر بتلك الصورة، وهذا الكلام ينسجم مع المقولة القائلة إن امرأ القيس ملك من ملوك الشعر

¹ - إحسان النص: اختيارات من كتاب الأغاني لأبي الفرج الإصفيهاني، ط2/1984، ص150.

² - إحسان النص: المرجع نفسه، ص178.

ووصف ذا الرمة بأنه قَدْر من ظريف الشعر وغريبه وحسنه مالم يقدر عليه أحد ، ولعلّه قصد بذلك أن شعر ذي الرمة كان يجمع بين رقة الشعر الحضري ، وجزالة الشعر البدوي فظريف الشعر وحسنه قد يتمثل عند جرير في نسيبه ووصفه وتشبيهاته التي يتميز بها، حتى لقد قيل: إنه أحسن شعراء عصره تشبيهاً، كما قد يتمثل غريب الشاعر ذي الرمة في بائيته الكبرى التي تربوعن مائة وعشرين بيتاً والتي عدّها صاحب الجمهرة من "الملحّات"⁽¹⁾ ثم وصف واحداً من معاصريه وخصومه هو الأخطل فأشار إلى مسيحيّته، ثم وصف الفرزدق بأنّ في يده نبعة من الشعر أي أنه قابض على أصل من الشعر، وعندما سئل عمّا أبقاه لنفسه ذكر أنّه مدينة الشعر منها يخرج وإليها يعود؛ إذ قال في مختلف الأغراض وأجاد، بينما تميّز غيره بالتفوق في غرض بعينه ، وهو بهذا يشترط في التفوق تعدد الأغراض، والإجادة فيها.

لقد أطلق جرير أحكاماً عامّة تتسم بالتعميم وعدم التعليل، ولا تعتمد على مقاييس نقدية واضحة، كما أنها لم تُبنَ على دراسة وافية لشعر هؤلاء الشعراء، وبحث متأنّ لخصائص كل منهم، بل حكم جرير بناء على معرفته العامة بشعر هؤلاء الشعراء، وبناء على ذوقه السليم، وطبعه الأصيل، فجاءت أحكامه شبيهة بالأحكام النقدية في العصرين السابقين: العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام، ولكن جريراً عندما تحدث عن نفسه وحكم على شاعريته فصلّ القول، وذكر بعض المواصفات ومنها: كثرة الشعر - تنوع الأغراض - البراعة في كل غرض من الأغراض التي طرقها، وقد صارت هذه المقاييس أسساً متداولة بين النقاد حين يُفاضلون بين الشعراء⁽²⁾.

وكان جرير يفضل في شعره قصيدة بعينها هي قصيدته الدالية التي يبدأها بقوله

أهوى أراك برامتين وقوداً أم بالجينة من مدافع أودا

قال أحدهم وهو والي اليمامة إنه كلما طلب من ابن جرير أن ينشده أحسن شعر لأبيه إلا وأنشده القصيدة الدالية قال: فقلت له: ويحك، ألا تريدني على هذه؟ فيقول: سألتني

¹ - عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 169 وينظر جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ص 338-350

² - عالية علي: محاضرات في مقياس النقد العربي القديم، مخطوط، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر بسكرة

- الجزائر. السنة الجامعية 2004-2005

عن أجود شعراي، وهذه أجوده، وقد كان يقدمها على جميعه⁽¹⁾ وهذه القصيدة احتوت على جملة من الخصائص نذكر منها : الطول؛ حيث تبلغ سبعة وخمسين بيتا، وقد جمع فيها صاحبها ثلاثة أغراض شعرية تفوق الشاعر فيها: وهي النسيب الرقيق ، والفخر بأيام قومه، والهجاء اللاذع للفرزدق وقومه⁽²⁾

ويروى عن أبي عبيدة في سبب اقتحام الأخطل حمأة التهارش بين جرير والفرزدق، أنه قال لابنه مالك الذي كان أكبر ابنائه وبه يُكنى : انحدر إلى العراق حتى تسمع منهما وتأتيني بخبرهما، فانحدر مالك حتى لقيهما وسمع منهما ثم أتى أباه فقال له: كيف وجدتهما؟ قال: وجدتُ جريرا يغرف من بحر، ووجدت الفرزدق ينحت من صخر. فقال الأخطل: الذي يغرف من بحر أشعرهما. وقال يفضل جريرا على الفرزدق:

1- إني قضيت قضاء غير ذي جنفٍ لما سمعتُ ولما جاعني الخبر

2- أن الفرزدق قد شالت نعامته وعضه حية من قومه ذكر⁽³⁾

فإذا كانت هذه الرواية صحيحة فالحكم هنا لمالك بن الأخطل وليس للأخطل، ويشكك عبد الجبار المطلبي في صحة هذه الرواية، إذ يستبعد ألا يطلع الأخطل وهو في الجزيرة على أشعار الشعارين، ثم إنه لصحة الرواية لا بد أن يكون مالك ناقدا بصيرا بالشعر ليعتمد عليه في مثل هذه السفارة، ولا بد أن يكون الأب يثق مطلق الثقة بذوق ابنه فيحكم بحكمه >ولهذا وجب أن ننظر إلى مثل هذه الرواية بشئ من الشك غير القليل ، والحق أن أكثر الروايات التي تذكر المفاضلة بين جرير والفرزدق عرضة للشك فيها ، بل إن الشك في أكثرها ينبغي أن يكون أدنى إلى القبول من التسليم القاطع بصحتها <<⁽⁴⁾ إن البيتين السابقين فيهما إقرار بأن الحكم الشعري حكم عادل ، ولكن ليس في هذا الحكم أي تعليل أو تحليل أو توضيح ، وقد يكون البيتان سببا في نسج الحكاية المتعلقة بإرسال مالك إلى العراق .

¹- عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب .ص170نقلا عن الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني ج 7 ص

133-134

²- عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب .ص170

³- إحسان النص :اختيارات من كتاب الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني ، ص 89.

⁴- عبد الجبار المطلبي: الشعراء نقادا، عصمي للنشر والتوزيع، القاهرة ص 42

والحقيقة أن مقولة << جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر >> ترددت على أكثر من لسان ،وهي تلخص خصائص كل شاعر فمعروف أن شعر جرير سهل وأغراضه متعددة ،أما الفرزدق ففي شعره الغريب ،ولذلك جذب اهتمام اللغويين، وهذه الخاصية تتماشى مع ماؤثر عن الفرزدق قوله "يأتي عليّ وقتٌ يكون فيه قلع ضرس أهون عليّ من قول بيت شعر".

وروى أبو يحيى الضبي أن جريرا والأخطل والفرزدق اجتمعوا لدى بشر بن مروان فقال للأخطل احكم بين الفرزدق وجرير،فقال اعفني أيها الأمير ،فأكد بشر عليه فقال : هذا حكم مشؤوم ،ثم قال: الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر،فلم يرض جرير بهذا الحكم ،وهجا الأخطل قائلاً :

1-ياذا العباة إن بشرأقد قضي ألا تجوز حكومة النشوان

2-فدعوا الحكومة لستم من أهلها إن الحكومة في بني شيبان

وقيل إن بشرأ بعث إلى الأخطل بألف درهم وكسوة وبغلة وخمر ،وقال له اهج هذا الكلب الذي يهجو بني دارم فقال الأخطل:

1-أجرير إنك والذي تسمو له كأسيفة فخرت بحدج حسان

2-عملت لربتها فلما عوليت نسلت تعارضها مع الركبان

3-أتعد مأثرة لغيرك فـرُها وتئاؤها في سالف الأزمان

4-تاج الملوك وفخرهم في دارم أيام يربوع مع الرعيان

1-الأسيفة :الأمة/حدج :مركب النساء/حسان :امرأة عفيفة

2-عوليت :حملت على اليهودج/نسلت:أسرعت

4-يربوع:القبيلة التي ينتمي لها جرير ، وهي من قبائل بني تميم

فقال جرير يرد على الأخطل:

لمن الديار ببرقة الروحان إذ لاتباع زماننا بزمان

وقد جاء فيها:

1-ياذا الغباوة إن بشرأ قد قضي ألا تجوز حكومة النشوان

2-فدعوا الحكومة لستم من أهلها إن الحكومة في بني شيبان

ولعل من المستبعد أن تكون العبارة السالفة الذكر " يغرف من بحر " قد أغضبت جريرا ، فالمفروض ألا يغضب ، لكن غضبه من تفضيل الفرزدق أو غضبه من مهاجمة الأخطل أمر معقول.

حكومة الصلتان العبدى:

الصلتان العبدى هو قثم بن خبية أحد بني محارب من عبد القيس، وهو من أشهر القضاة الذين حكموا بين الفرزدق وجرير، وقد حكم بينهما شعرا من خلال القصيدة الآتية:

1	أنا الصلتان والذي قد علمتم	متى ما يُحكّم فهو بالحكم صَادِع
2	أتنتي تميم حين هابت قُضاتها	وإني لبالفصل المبين قاطِع
3	كما أنفذ الأعشى قضية عامر	وما لتميم من قضائي رَوَاجِع
4	ولم يرجع الأعشى قضية جعفر	وليس لحكمي آخر الدهر، راجِع
5	سأقضي بينهم قضاء غير جائر	فهل أنت للحكم المبين سامع
6	قضاء امرئ لايتقي الشتم منهم	وليس له في الحمد منهم منافع
7	فإن كنتما حكمتُماني فاصمتا	ولا تجزعا ولىرض بالحكم قانع
8	فإن تجزعا أو ترضيا لا أقلكما	وللحق بين الناس راض وجازع
9	فأقسم لا آلو عن الحق بينهم	فإن أنا لم أعدل فقل أنت ضالع
10	فإن يك بحر الحنظلين واحدا	فما يستوي حيثانه والضفادع
11	وما يستوي صدر القناة وزجها	وما يستوي شم الذرى والأذراع
12	وليس الذنابي كالقدامى وريشه	وماتستوي في الكف منك الأصابع
13	ألا إنما تحظى كليب بشعرها	وبالمجد تحظى دارم والأقارِع
14	ومنهم رؤوس يهتدى بصدورها	والأذنان قدما للرؤوس توابع
15	أرى الخطفي بذ الفرزدق شعره	ولكن خيرا من كليب مجاشع
16	فيا شاعرا لاشاعر اليوم مثله	جرير، ولكن في كليب تواضع
17	جرير أشد الشاعرين شكيمة	ولكن علتة الباذخات الفوارع
18	ويرفع من شعر الفرزدق أنه	له باذخ لذي الخسيصة رافع
19	وقد يحمد السيف الددان بجفنه	وتلقاه رثا غمده وهو قاطع
20	يناشدني الفرزدق النصر بعدما	ألحت عليه من جرير صواقِع

21 فقلت له إني ونصرك كالذي يثبت أنفا كشمته الجوادع

22 وقالت كليب قد شرفنا عليهم فقلت لها: سدت عليك المطالع

ولم يقبل جرير هذه الحكومة ،واتهم الصلتان بالقضاء المختلط غير الواضح ،وقال يهجو الصلتان:

1 أقول ولم أملك سوابق عبرة متى كان حكم في بيوت الهجارس

2 فلو كنت من رهط المعلى وطارق قضيت قضاء واضحا غير لابس

لقد اغتاز جرير وأبكاه هذا الحكم ، ورفض أن يصدر هذا الحكم من ساكن قرية يعتني بالنخيل فقال:

أقول لعيني قد تحدر ماؤها متى كان حكم الله في كرب النخل
(وكرب النحل : أصول السعف)

وقيل إن الصلتان لم يجبه ،وقيل إنه أجابه بقوله

1 تعيرنا بالنخل والنخل مالنا وود أبوك الكلب لو كان ذا نخل

2 وأي نبي كان من غير قرية وهل كان حكم الله إلا مع الرسل

تفضيل الفرزدق⁽¹⁾

قال الفرزدق عن شعره وشعر جرير : "إني وإياه - جرير - نغترف من بحر واحد ، وتضطرب مياهه عند طول النهر"⁽²⁾ فالفرزدق هنا يرى أن تجربته الشعرية مشابهة لتجربة جرير ، وأن المنبع واحد ، ولكن التفوق بعدئذ يكون للفرزدق ، وكأني به يشير إلى الصياغة .

وفي حكم الصلتان حكم بالتفوق الشعري لجرير ولكنه حكم بالنسب الرفيع للفرزدق ، فلما تناهى هذا الحكم لم يرض به الفرزدق شأنه في ذلك شأن جرير ، فقال الفرزدق : <<أما الشرف فقد عرفه ، وأما الشعر فما للبحراني والشعر >>

وقد اغتم الأخطل المناسبة فقال مناصرا للفرزدق على جرير:

1 وقد تقايستم إلى أحسابكم وجعلتم حكما من الصلتان

2 فإذا كليب لايساوي دارما حتى يساوي حصرم بأبان

¹ - الفرزدق من قبيلة دارم من تميم

² - عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب .ص170نقلا عن الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني ج7 ص 72.

- 3 وإذا جعلت أباك في ميزانهم رجحوا وشال أبوك في الميزان
4 وإذا وردت الماء كان لدارم عفواته وسهولة الأعطان

وهناك شاعر آخر هو عرادة النّميري كان نديما للفرزدق ،وأقبل الشاعر الراعي فدعاه عرادة وأطعمه وسقاه وطلب منه أن يفضل الفرزدق على جرير فأبى ولكن بعد أن أخذ الشراب منه مأخذا قال: **ياصاحبي دنا الرواح فسيرا غلب الفرزدق جريرا** وهكذا نرى أن الراعي فضل الفرزدق بفعل الشرب وهذا مايقال عن الأخطل ، وغيرهما من خصوم الفرزدق ،فهم متهمون في أخلاقهم، وقد يكون السبب في ذلك أن جريرا له أبناء وأحفاد ورواة تناقلوا أشعاره وساهموا في صنع مثل هذه الروايات ، كما أن جريرا كان أكثر عفة من الفرزدق ،وأكثر تدينا منه، فالفرزدق معروف بفسقه وفجوره ، مما جعل كثيرا من الناس من اللغويين والمتدينين ينتصرون لجرير، ويتعصبون على الفرزدق المعروف برقة دينه ،والأصمعي كان من أكثر المناصرين لجرير، ويروى أن الفرزدق هجا باهلة قوم الأصمعي فكان ذلك سببا لتعصب الأصمعي على الفرزدق، وإضافة إلى ذلك فإن الفرزدق كان علوي الهوى وإن لم يجهر بذلك ،أما جرير فأموي النزعة، مما مكن له من ذبوع شعره وعلو مكانته.

وقيل إن بشر بن مروان(أخ عبد الملك بن مروان) أغرى سراقه البارقي بهجاء جرير ولعل ذلك داخل في استراتيجية الدولة الأموية لإلهاء الناس عن السياسة ، وإثارة العصبية القبلية، فقال سراقه:

- 1 أبلغ تميما غثها وسمينها والقول يقصد تارة ويجور
2 أن الفرزدق برزت حلباته عفوا وغودر في الغبار جرير
3 ماكنت أول محمر عثرت به آباؤه ،إن اللئيم عثور

وحين يتكلم الشعراء عن شرف الفرزدق فإنهم يعنون بذلك شرف قبيلته لاشرفه الشخصي، ولعل الشاعر البارقي وغيره ممن يفضلون الفرزدق ويذكرونه بالعزة والشرف يقصدون دفاعه عن المحرومين والمسخرين في بعض الأعمال لصالح الحكام، وربما يعني البارقي فخر الفرزدق بالفضائل والعل

ذهب الفرزدق بالفضائل والعل وابن المراغة **مخلف محسور**

وقد رد جرير مخاطبا بشر بن مروان قائلا:

1 - يابشر حق لوجهك التبشير هلا غضبت لنا وأنت أمير

2 - قد كان بالك أن تقول لبارق يآل بارق فيم سب جرير

وقيل إن بشر علق على ذلك بقوله <<أما وجد ابن اللخناء رسولا غيري>>
وعندما هجا جرير الأخطل معرضا بقبيلته تغلب قال:

لاتطلبين خوولة في تغلب فالزنج أكرم منهم أخوالا

غضب الزنج ، وقال أحدهم وهو سفيح يفضل الفرزدق:

1 قد قست شعرك يا جرير وشعره فقصرت عنه يا جرير وطالا

2 ووزنت فخرك يا جرير وفخره مثل الفرزدق جائر قد قلا

3 الزنج لو لاقيتهم في صفهم لاقيت ثم حجاجا أبطالاً

وإذا كان جرير قد أساء إلى الزنوج فقد أساء إلى الموالي أيضا في قوله

قالوا نبيعه ببيعا فقلت لهم بيعوا الموالي واستحيوا من العرب

وقد هجا ابن لجأ جرير ومما جاء في قوله:

سبق الفرزدق بالمكارم والعبا وابن المراغة ينعت الأطلالا

وهنا نجد إشارة إلى تعبير الشاعر جرير بالوقوف على الأطلال وهي الفكرة التي
سنتطور لاحقا مع دعوة أوثورة أبي نواس على الوقوف على الأطلال ، وهي الصفة
العربية الأصيلة في القصيدة القديمة ، فنلاحظ أن الحضارة التي بدأت تظهر معالمها
طغت بعض الشيء على الحياة البدوية

ومن الشعراء من شتم وهجا الشعارين جرير والفرزدق وهو الشاعر اللعين وهو

منازل بن زمعة المنقري ولكن الشعارين أهمل شعره ومما قاله في ذمهما معا

1 سأحكم بين كلب بني كليب وبين القين قين بني عقال

2 فإن الكلب مطعمه خبيث وإن القين يعمل في سفال

تفضيل الأخطل (1)

¹ - هو غياث بن غوث بن مالك بن جُشم بن بكر بن حبيب من قبيلة تغلب ، والأخطل لقب أطلقه عليه رجل تعرض لهجائه فقال له :إنك لأخطل فغلبت عليه هذه الصفة، وكان نصرانيا من أهل الجزيرة

عن شيخ من قريش قال : رأيت الأخطل خارجاً من عند عبد الملك بن مروان ، فلما انحدر دنوت منه فقلت : يا أبا مالك من أشعر العرب؟ قال : هذان الكلبان المتعاقران من بني تميم . فقلت : فأين أنت منهما؟ قال : أنا- واللات- أشعر منهما. قال : فحلف باللات هزواً واستخفافاً بدينه⁽¹⁾

ورد في كتاب الأغاني أن الفرزدق دخل الكوفة ، فلقه ضوء بن اللجلاج فقال له : من أمدح أهل الإسلام ؟ فقال له : وما تريد إلى ذلك ؟ فقال تمارينا فيه . قال " الأخطل أمدح العرب"⁽²⁾

روى نوح بن جرير قصة مع أبيه فقال >> بينا أنا آكل معه يوماً ، وفي فيه لقمة وفي يده أخرى ، فقلت له : يا أبت ، أنت أشعر أم الأخطل ؟ فجرض (غصن) باللقمة التي في فيه ورمى بالتي في يده وقال : يا بني لقد سررتني وسؤتني . فأما سرورك إياي فلتعهدك لي مثل هذا وسؤالك عنه . وأما ماسؤتني به فلذكرك رجلاً قد مات . يا بني أدركت الأخطل وله ناب واحد ، ولو أدركته وله ناب آخر لأكلني به ، ولكنني أعاننتي عليه خصلتان : كبير السن وخبث دين <<⁽³⁾

النقاد الرواة:

تعد الرواية ظاهرة أدبية فنية اجتماعية في المجتمع العربي منذ الجاهلية ، فقد كان لكل شاعر رواية أو أكثر ، وكانت الرواية الشرط الضروري للتكوين الشعري ، فقبل أن ينبغ الشاعر لا بد أن يكون قد صحب أحد الشعراء فروى عنه الشعر وتلمذ على يديه ، وبمجيء الإسلام تنوعت الرواية ، بين رواية الأخبار والسير والأحاديث النبوية وأقاصيص العرب ، وظل الأمر في العصر الأموي كما كان من قبل ، ومن أبرز الرواة نذكر :

أبو عمرو بن العلاء ت 154هـ

-حماد الراوية 75-156هـ-

وعن هذين العلمين أخذ أغلب شيوخ العلم والرواية من أمثال :

خلف الأحمر ت 180هـ/عبد المالك بن قُريب الأصمعي ت 216هـ/أبو عبيدة معمر

بن المثنى ت 210هـ/أبو عمرو الشيباني بن اسحاق ت 213هـ .

¹- إحصان النص : اختيارات من كتاب الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني ، ص 82.

²- إحصان النص : المرجع نفسه ، ص 81.

³- إحصان النص : اختيارات من كتاب الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني ، ص 81.

وعن هؤلاء أخذ من تلاهم مثل: ابن الأعرابي ت254هـ/ ومحمد بن حبيب ت254هـ/ أبي حاتم السجستاني ت254 هـ/ ثم نجد السكري ت275هـ/ وثلعب ت291هـ/ وغيرهما.

حماد الراوية

ولد حماد الراوية بالكوفة، وكان ديلمي الأصل، وقيل إنه كان لصاً في شبابه، فوجد في بعض مسروقاته شعراً للأنصار فأعجب به، ثم طلب الأدب والشعر، ولم يزل يقول الشعر يشبه به مذهب شاعر من الشعراء ويدخله في شعره، ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتخلط أشعار القدماء، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد⁽¹⁾.

سئل حماد الراوية عن الأخطل فقال: ماتسألوني عن رجلٍ قد حَبَّبَ شعره إليّ النصرانية⁽²⁾، وكان حماد ممن يُفضلون الأخطل على صاحبيه فقال له الفرزدق: "إنما تفضله لأنه فاسق مثلك، فقال لو فضلته بالفسق لفضلتك"⁽³⁾. فحماد كان معاصراً للشعراء الثلاثة، وكان يفضل الأخطل على صاحبيه أما بالنسبة لجريروالفرزدق فكانا متساويين في نظره وفي كل مرة يفضل أحدهما عن الآخر

"قال حماد الراوية: أتيت الفرزدق فأنشدني، ثم قال لي: هل أتيت الكلب جريراً؟ قلت: نعم. قال: فأنا أشعر أوهو؟ فقلت: أنت في بعض الأمور وهو في بعض. فقال: لم تُصاحني. فقلت: هو أشعر إذا أرخى من خناقه (الخناق : الحبل يخنق به)، وأنت أشعر منه إذا خفت أو رجوت. فقال: وهل الشعر إلا في الخوف والرجاء وعند الخير والشر"⁽⁴⁾

ابن سلام

روى ابن سلام عن ابن دأب قوله: "الفرزدق أشعر عامّة، وجريرو أشعر خاصة"⁽⁵⁾ وحدث أبو اليقظان قال: "قال جرير لرجل من بني طهية: أيهما أشعر: أنا أم الفرزدق؟

¹ - كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، الجزء الثاني، نقله إلى العربية عبد الحليم نجار، دار المعارف بمصر، ص246

² - إحصان النص: اختيارات من كتاب الأغاني لأبي الفرج الإصفيهاني، ص81.

³ - إحصان النص: المرجع نفسه، ص82.

⁴ - إحصان النص: المرجع نفسه، ص151.

⁵ - عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص163 نقلاً عن الأغاني لأبي الفرج الإصفيهاني ج7 ص69.

فقال له : أنت عند العامة ، والفرزدق عند العلماء، فصاح جرير: أنا أبو حَزْرَةَ غلبته ورب الكعبة والله مافي كل مائة رجل عالم واحد"⁽¹⁾

قال ابن سلام: قال العلاء بن جرير ، وكان قد أدرك الناس وسمع: "كان يقال الأخطل إذا لم يجئ سابقاً فهو سُكَيْتٌ والفرزدق لا يجيئ سابقاً ولا سَكَيْتاً فهو بمنزلة المُصَلِّي أبدأ، وجرير يجيئ سابقاً ومُصَلِّياً وسُكَيْتاً. قال ابن سلام وتأويل قوله: إنَّ للأخطل خمسا أو ستا أو سبعا طوالاً روائع غُررا جيادا هنَّ بهن سابق، وسائر شعره دون أشعارهما، فهو فيما بقي بمنزلة السكيت، والسكيت آخر الخيل في الرهان ، والفرزدق دونه في هذه الروائع وفوقه في بقية شعره، فهو كالمُصَلِّي أبدأ، وهو الذي يجيئ بعد السابق ، وقبل السكيت، وجرير له روائع هو بهن سابق، وأوساط هو بهن مصل، وسفسافات هو بهن سَكَيْت"⁽²⁾

1	السابق	الأخطل	جرير
2	المصلي	الفرزدق	جرير
3	السكيت	الأخطل	جرير

وقال محمد بن سلام " ورأيتُ أعرابيا من بني أسد أعجبنى ظرفه وروايته ، فقلت له: أيهما عندكم أشهر؟ قال: بيوت الشعر أربعة ؛ فخر ومديح وهجاء ونسيب، وفي كلها غلب جرير، قال في الفخر: إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا والمديح: أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح والهجاء: فغض الطرف إنك من نميرٍ فلا كعبا بلغت ولا كلابا والنسيب: إن العيون التي في طرفها حورٌ قتلنا ثم لم يُحيين قتلانا"⁽³⁾

وروى ابن سلام فقال: سمعتُ يونس بن حبيب يقول: ماشهدتُ مشهداً قطَّ ذُكِر فيه الفرزدق وجرير فاجتمع أهل ذلك المجلس على أحدهما"⁽⁴⁾

¹ - عبد العزيز عتيق : المرجع نفسه، ص 164 نقلا عن الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني ج 7 ص 130.

² - إحسان النص : المرجع نفسه ، ص 152.

³ - إحسان النص : اختيارات من كتاب الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني ، ص 153.

⁴ - إحسان النص : المرجع نفسه ، ص 324.

وروى ابن سلام عن بشار العقيلي فقال: " سألت بشارا العقيلي عن الثلاثة فقال: لم يكن الأخطل مثلهما، ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه. قلت فجير وفيردق؟ قال جير يحسن ضروبا من الشعر لا يحسنها الفيردق، وفضل جيرا عليه"⁽¹⁾

الأصمعي:

تكلّم الأصمعي عن جرير فقال : كان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعرا فينبذهم وراء ظهره، ويرمي بهم واحدا واحدا، ومنهم من كان ينفّحه (يضربه ضرباً خفيفاً بالسيف) فيرمي به ، وثبت له الفيردق والأخطل"⁽²⁾

قال الأصمعي: إنّ الأخطل كان يقول تسعين بيتا ثم يختار منها ثلاثين فيطيرها"⁽³⁾ أي يذيعها، ونفهم من ذلك أنّ ما يبقيه الشاعر ثلث ماقاله، وأما الثلثان فيستغني عنه بعد المراجعة والتهديب والتشذيب فهو ينتمي إذن إلى مدرسة الصنعة اللفظية.

عن عطاء بن مصعب قال قلت لأبي مهدي الباهلي، وكان من علماء العرب ، أيهما أشعر أجرياً الفيردق فغضب ثم قال : جرير أشعر العرب كلها، ثم قال: لا يزال الشعراء موقوفين يوم القيامة حتى يجيء جرير فيحكم بينهم"⁽⁴⁾.

عن أبي عبيدة قال: جاء رجل إلى يونس فقال له: من أشعر الثلاثة؟ قال الأخطل، قلنا له من الثلاثة؟ قال: أي الثلاثة ذكروا فهو أشعرهم، قلنا عمّن تروي هذا؟ قال: عن عيسى بن عمرو، وابن أبي إسحاق الحضرمي، وأبي عمرو بن العلاء وعنبسة الفيل وميمون الأقرن الذين ماشوا الكلام وطرقوه، فقلت للرجل، سله، وبأي شيء فضّله؟ قال: بأنّه كان أكثرهم عدد طوال جيّاد ليس فيها سقّط ولا فحش، وأشدهم تهديبا للشعر"⁽⁵⁾

فأساس المفاضلة في هذه الرواية يتمثل في:

الكثرة الشعرية - القصائد الطوال - الجودة - التنقيح والتهديب.

نحن إذن أمام جملة من الآراء المتضاربة التي تفضل هذا الشاعر أو ذلك ، وإن كانت أغلب الآراء تفضل جريرا ، وهذه المفاضلات في معظمها انطباعية تأثرية تفتقر

¹ - إحسان النص : المرجع نفسه ، ص 151.

² - إحسان النص : المرجع نفسه ، ص 150.

³ - إحسان النص : المرجع نفسه ، ص 80.

⁴ - إحسان النص : اختيارات من كتاب الأغاني لأبي الفرج الإصفيهاني ، ص 152.

⁵ - إحسان النص : المرجع نفسه ، ص 80.

إلى التعليل باستثناء ما أورده أبو عبيدة في تفضيل جرير عن صاحبيه في القول السابق وهناك رواية أخرى جاء فيها أن أسباب المفاضلة يعود إلى أن جريرا كان أكثرهم فنون شعر، وأسهلهم ألفاظا، وأقلهم تكلفا، وأرقهم نسيبا، وكان دينا عفيفا" (1)

النُّحَاة والنُّقْد

ظهر في بيئة العراق في العصر الأموي نشاط لغوي علمي تمثل في وضع قواعد النحو وجمع أشعار العرب، وصاحب ذلك ظهور لون نقدي جديد يعتمد الموضوعية، ويخلو من التعصب والذاتية كونه يحتكم إلى قواعد اللغة، وبذلك فقد فُتِح باب أمام اللغويين لم يكن مفتوحا من قبل، فصاروا ينظرون إلى القصيدة أو الخطبة فيسجلون فيها مواضع الزلل، كما يميزون اللحن في الكلام، وقد ظهر هذا اللون من النقد بفضل الحركة اللغوية النشيطة التي ظهرت بصورة خاصة في البصرة والكوفة، وقد دعت الحاجة إلى ظهور هذه المدارس والحوضر العلمية، فقد اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، بسبب الفتوحات الإسلامية، وبسبب حركة التنقل ودخول عناصر غير عربية احتاجت إلى وضع قواعد لغة العربية، بل إن العرب أنفسهم لم يسلموا من اللحن، فكان لزاما أن تظهر هذه الحركة اللغوية التي شجعها خلفاء بني أمية حفاظا على اللغة، ومن أوائل اللغويين الذين دخلوا ميدان النقد في هذا العصر نذكر: يحيى بن يعمر البصري، وعنبسة الفيل، وعبد الله بن إسحاق الحضرمي، وأبو عمرو بن العلاء (2)

ومن أمثلة النقد اللغوي ما وقع للحجاج بن يوسف مع يحيى بن يعمر البصري "حكى أن الحجاج قال ليحي: أتجدي ألحن؟ فقال يحي: الأمير أفصح من ذلك. قال عزمتُ عليك لتخبرني، فقال يحي: نعم. فقال له في أي شيء؟ قال: في كتاب الله تعالى، فقال: ذلك أسوأ، ففي أي حرفٍ من كتاب الله؟ قال: قرأتَ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها، وتجارة تخشون كسادها ومساكنُ ترضونها أحبُّ إليكم" فرفعت أحبُّ وهو منصوب، فغضب الحجاج وقال: لا تُساكنُني ببلد أنا فيه، ونفاه إلى خراسان" (3) فنلاحظ تعليل الحكم والاحتكام إلى قواعد اللغة، فقد رأى يحيى بن يعمر أن

¹ عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 64. نقلا عن الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني ج 7 ص 69.

² عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 181.

³ عبد العزيز عتيق: المرجع نفسه. ص 181. نقلا عن معجم البلدان لياقوت الحموي ج 20 ص 42-43.

الحجاج رفع ماحقه النصب ، وقد شعر الحجاج بالمضايقة ففضل إبعاد هذا الرجل النحوي ، ومثل هذا الموقف كان مع الشعراء الذي لم يكونوا مقتنعين بهذه الأحكام اللغوية الجديدة ، وهم أرباب اللغة ، ولذلك قد هجا بعض الشعراء هؤلاء اللغويين الذين كانوا يترصدون الأخطاء النحوية أو الصرفية.

ومن الشعراء الذين تعرضوا لنقد النحاة الفرزدق فقد نقده عنبسة بن معدان الفيل وعبد الله بن اسحاق الحضرمي "ذكر ابن سلام أنه لما سمع الفرزدق ينشد في مديحه يزيد بن عبد الملك:

مستقبلين شمال الشام تضربهم بحاصب كنديف القطن منثور
على عمائنا يلقي وأرحمنا على زواحف تزجي مخها رير

الحاصب: الريح الشديدة تحمل الحصباء/زواحف: النوق/تزجي: تساق /مخ رير:مخ ذائب فاسد من الهزال/

قال له: أسأت، إنما هي رير، وكذلك قياس النحو في هذا الوضع، فلما ألحوا على الفرزدق قال: على زواحف تزجيتها محاسير(الواحد محسور أي كليل)،ثم ترك الناس هذا ورجعوا إلى البيت الأول ، فلما أكثروا الرد على الفرزدق هجا عبد الله بن اسحاق الحضرمي بقوله :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

فقال له ابن اسحاق : ولقد لحتت أيضا في قولك " مولى مواليا" وكان ينبغي أن تقول " مولى موال" ، فابن اسحاق قد رصد خطأ الفرزدق وتابع رصد أخطائه ، وكأنه يرد على هجائه له بتتبع الأخطاء. وقيل إن ابن اسحاق سمع الفرزدق ينشد :

وعضَّ زمانٌ يا ابن مروان لم يدعُ من المال إلا مسحًا أو مجلف

(المال المسحت:المال الحرام الذي لا يحل كسبه،لأنه يسحت البركة أي يذهبها/المجلف : الذي بقيت منه بقية.)فقال له ابن إسحاق على أي شيء ترفع " مجلف" ؟ فقال : على مايسوءك ينوءك⁽¹⁾وعلق ابن عبد ربه على هذا البيت بقوله : " وقد أكثر النحويون الاحتيال لهذا البيت ،ولم يأتوا بشيء يُرضي"⁽²⁾

¹ - عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب .ص183نقلا عن نزهة الألباء ص20.

² - عبد العزيز عتيق : المرجع نفسه .ص183نقلا عن العقد الفريد ج5 ص362.

النقد في بيئة الشّام

اشتهرت بيئة الشّام باعتدال مناخها، وجمال طبيعتها لوقوعها على حافة البحر الأبيض المتوسط، كما اشتهرت بالتواصل الحضاري مع روما وبيزنطة، وقد كان يسكنها الغساسنة، وهم تابعون لروما، وفي حروب شبه مستمرة مع المناذرة المجاورين للفرس.

وإذا كانت العراق قد اشتهرت ببعض المدن كالبصرة والكوفة فإنّ الشّام لم تشتهر بحاضرة بعينها، وإنّ كنا نجد اسم: الجولان - حوران - البلقاء - جلق والجابية. ولم تنتشط الحركة الشعرية في الشّام كما كان الأمر في الحجاز والعراق، وفي رصدنا للحركة الشعرية في الشّام، يمكن أن نميز الأنواع الآتية :

1- الشعر الوافد من خارج الشّام؛ حيث كان القصر الأموي قبيلة للشعراء المادحين الذين يهدفون إلى التكبس بشعرهم، وإلى الاشتهار أيضا، أو الشعر الوافد بسبب اللهو والتسلية، وقد شجّعه خلفاء بني أمية، وفي مقدمتهم : يزيد بن معاوية، ويزيد بن عبد الملك، والوليد بن يزيد بن عبد الملك، فهؤلاء «طلبوا الغناء الحجازي، وفسحوا له في مجالسهم، وعقدوا للمغنين والمغنيات الحفلات المختلفة»⁽¹⁾.

2- الشعر الشّامي الذي يعكس الحوادث أو الحروب الواقعة في الشّام بين عرب الشّام والقبائل الوافدة، ومن أشهر المعارك موقعة مرج راهط، ومن أشهر شعراء الشّام عدي بن الرقاع العاملي⁽²⁾، وهذا الشعر يعد من طرف آخر شعرا وافدا. ولعل سبب عدم اشتهار بيئة الشّام بالشعر يعود حسبا يذهب شوقي ضيف إلى « أن سكان الشّام أصلهم من اليمن وقد اكتسبوا لغة الشّام اكتسابا فلم تؤهلهم هذه اللغة لقول الشعر ونظمه»⁽³⁾.

3 - شعر الأسرة الحاكمة من الخلفاء ونويعهم ممن كانوا يعيشون في بحبوحة العيش وكانوا ينظمون الشعر.

1 - شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، مصر، ط5، 1973. ص 48 .

2 - هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع، نسبته الناس إلى الرقاع وهو جد جده لشهرته، وكان شاعرا مقدما عند بني أمية مداحا لهم خاصة الوليد بن عبد الملك وله بنت شاعرة يقال لها سلمى، جعله محمد بن سلام في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام، وكان منزله بدمشق وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم وقد تعرض لجرير وناقضه في مجلس الوليد بن عبد الملك ولم تتم بينهما مهاجاة إلا أن جريرا قد هجاه تعريضا .

3- شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 47 .

وبصورة عامة فإنّ الحركة الشعرية في الشّام لم تكن متطورة، فكانت أقل من الحجاز والعراق. ولكنها كانت أحسن حالا من بعض البيئات الأخرى مثل اليمن، ومصر، والمغرب والأندلس؛ لأن هذه البيئات، وإن كانت قد شهدت حضارات متعاقبة إلاّ أنها كانت موطناً لسكانها غير العرب، وأول لهجات اليمنية ممن لم تشتهر بالشعر فظلّ الشعر متخلفاً باليمن ذات اللغة الحميرية وظل متخلفاً بمصر، وظل أكثر تخلفاً بالبيئة المغربية.

وإذا كانت بيئة الحجاز قد اشتهرت بشعر الغزل والنقد يتبعه ويسايره، وبيئة الحجاز اشتهرت بالفخر والهجاء والنقد يتبعه فان الشّام قد اشتهرت بصورة خاصة بشعر المدح، واتجه النّقد الأدبي تبعاً لذلك إلى هذا اللون من الشعر، ومن شعراء المدح بالإضافة إلى الشعراء الفحول : « أعشى ربيعة - عدي بن الرقاع العاملي - النابغة الشيباني - أبو صخر الهذلي الأحوص - عبد الله بن الزبير الأسدي - إسماعيل بن يسار - أبو العباس بن الأعمى - حارثة بن بدر الغداني، أبو قطفية»⁽¹⁾. وأكثر النقد الذي عرفته بيئة الشّام صدر عن الخلفاء والأمراء، لمعرفتهم الدقيقة بمحاسن الكلام، ومشاركتهم الفعلية فيما كان يجري حول الشعر من حوار ونقاش . وكان عبد الملك بن مروان هو شيخ الحلبة، وخير من عرض للشعر بالنقد عبد الملك بن مروان.

عبد الملك بن مروان الناقد⁽²⁾:

1 - عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 194

2- ولد عبد الملك بن مروان سنة 26 للهجرة وتربى في المدينة المنورة فقد كان أبوه مروان بن الحكم والياً عليها في عهد معاوية بن أبي سفيان، فدرس "عبد الملك" العلوم الإسلامية وتفوق في دراسته، انتقل إلى دمشق واخذ العلم من فقهاء وأصبح من المفكرين والفقهاء وتكونت شخصيته القيادية في دمشق حاضرة الدولة الأموية. وهو فوق ذلك شاعر وأديب وخطيب. وقد وصف بأنه ثابت الجأش عند الشدائد، يقود جيشه بنفسه كما لقب بـ"أب الملوك" إذ أن 4 من أبنائه تولوا الخلافة من بعده (الوليد - سليمان - يزيد الثاني وهشام). تولى عبد الملك بن مروان الخلافة بعد مقتل والده مروان بن الحكم وكانت الدولة الإسلامية مقسمة بين خلافتين. كانت الدولة الأموية تحكم مصر والشام بينما العراق والحجاز تحت خلافة عبد الله ابن الزبير الذي كان يدير خلافته من مكة. بعث عبد الملك بن مروان بالحجاج بن يوسف الثقفي لكي يبسط نفوذ الأمويين على كامل الأراضي الإسلامية. خرج الحجاج بن يوسف الثقفي إلى العراق وهزم والي البصرة. ثم خرج الحجاج بن يوسف بجيشه إلى الطائف، وانتظر الخليفة لبزوده بمزيد من الجيوش، فتوالى الجيوش إليه حتى تقوى تماماً، فسار إلى مكة وحاصر ابن الزبير فيها، ونصب المنجنقات على جبل أبي قبيس وعلى قيععان، ودامت الحرب أشهراً. وقتل فيها ابن الزبير وهزم جيشه. ولى عبد الملك الحجاج على العراق لكثرة فتنها والخوارج. هذا وظهر بعدها عبد الرحمن بن الأشعث لينقلب على الدولة الأموية فطلب الحجاج من الخليفة عبد الملك بن مروان المدد فاتاه ما أراد وقطع رأس بن الأشعث. عمل الخليفة عبد الملك بن مروان في فترة خلافته على إرساء أسس الدولة الإسلامية وحماية الدولة ونشر الإسلام في بلاد بعيدة حيث تم فتح بلاد المغرب في خلافته وكرم العلماء والمفكرين واجتذبهم إلى دمشق منارة العلم وانشأ دور العلم في عاصمة الدولة وفي المدن الإسلامية وتمت في عصره الكثير من الانجازات التي ما زالت حتى اليوم. اجتهد عبد الملك بن مروان في تأمين حدود الدولة واخضع أرمينيا وسواحل سورية وفتح حصون هامه منها مرعش وعمورية وانطاكية وفي 62 هجري اصدر الأمر بتولى عقبة بن نافع امر أفريقيا وتكملة الفتوحات فيها. واتجه لفتح المزيد من البلاد، واظهر براعة في إدارة شؤون الدولة واستعان بنخبة من امهر رجال عصره انجز الكثير في عصره واصدر أول عملة إسلامية ووجد اوزانها وكانت خطوه اقتصادية كبيرة حررت اقتصاد الدولة الإسلامية من الاعتماد على العملة الاجنبية أهمها الدينار البيزنطي. وعرب الدواوين والخراج ودرب الكوادر على إدارة شؤون المال وكانت خطوه هامة في التاريخ الإسلامي.

نشأ عبد الملك بن مروان في الحجاز، وتقف ثقافة عربية إسلامية ثم هاجر إلى الشام، وآلت إليه الخلافة بعد والده مروان بن الحكم (65-86 هـ)، قام خلالها بتوسيع الرقعة الإسلامية عن طريق الفتوحات، فقد فتح بلاد المغرب «ووضع أسس السياسة الاقتصادية بإصدار العملة العربية، وجعل اللغة العربية اللغة الرسمية الوحيدة في سائر الدواوين بجميع الأقطار الإسلامية»⁽¹⁾، وصفه معاوية بن أبي سفيان بقوله: «هو آخذ بثلاث وتارك لثلاث، آخذ بقلوب الناس إذا حدّث، ومُحسّن الاستماع إذا حدّث، وبأيسر الأمرين إذا خولف، تارك للممارسة، تارك للغيبة، تارك لما يُعتذر منه»⁽²⁾.

وقال له بعض جلسائه: أريد الخلوّة بك. فلما خلا به قال عبد الملك: «بشرط ثلاث خصال، لا تُطر نفسي عندك فأنا أعلم بها منك، ولا تغتّب عندي أحداً فلست أسمع منك، ولا تكذّبني فلا رأي لمكذّب، قال: أتأذن لي بالانصراف؟ قال: إذا شئت»⁽³⁾. وأثر عنه أنه كان يتخيّر جلساءه، وكتب إلى الحجاج بن يوسف أن يرسل له رجلاً يصلح للدين والدنيا، فاختر له عامر الشعبي وقد كان قاضي البصرة، وقد أوصاه عبد الملك فقال: «يا شعبي، لا تساعدني على ما قُبِح، ولا ترد علي الخطأ في مجلسي... ودع عنك كيف أصبح الأمير، وكيف أمسى، وكلمني بقدر ما استطعمك، واجعل بدل المديح لي صواب الاستماع مني، واعلم أن صواب الاستماع أكثر من صواب القول. وإذا سمعنتي أتحدث فلا يفوتتك منه شيء، وأرني فهمك في طرفك وسمعك، ولا تجهد نفسك في تطرية جوابي ولا تستدع بذلك الزيادة في كلامي، فإن أسوأ الناس حالاً من استكذّ الملوك بالباطل، وإن أسوأ حالاً منهم من استخفّ بحقهم. واعلم يا شعبي أن أقلّ من هذا يُذهب سالف الإحسان ويسقط الحرمة، فإن الصّمت في موضعه ربما كان أبلغ من المنطق في موضعه»⁽⁴⁾. فعبد الملك بن مروان بيّن من خلال هذه الوصية أدب وشروط المجالسة لرجل عرّف بحسن الحديث وخلاصة المنطق وسعة العلم، ويبدو أن الرجل عمل بالوصية، فنال المكانة الرفيعة في مجلس الخليفة، وقد روي عن الشعبي قوله: «ربما حدّثت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان

1 - عبد العزيز عتيق : النقد الأدبي عند العرب ، ص 196

2 - عبد العزيز عتيق : المرجع السابق ، ص 196 عن مروج الذهب للمسعودي، ج 3، ص 124

3- عبد العزيز عتيق : المرجع السابق ، ص 196 عن مروج الذهب للمسعودي، ج 3، ص 124

4 - عبد العزيز عتيق : المرجع السابق ، ص 197 عن مروج الذهب للمسعودي، ج 3، ص 100

رحمه الله وقد هيا اللقمة فيمسكها في يده مقبلا عليّ، فأقول: أحرها (ازردها) يا أمير المؤمنين فإنّ الحديث من ورائها، فيقول الحديث أشهى إليّ منها» (1).

وفد الشاعر عجير السلولي على عبد الملك بن مروان فأقام ببابه شهرا لا يصل إليه لشغل عرض لعبد الملك فلما وصل إليه ومدحه قال له: «يا عجير ما مدحت إلا نفسك ولكننا نعطيك لطول مقامك، وأمر له بمائة من الإبل» (2).

قال الأخطل لعبد الملك: «يا أمير المؤمنين، زعم ابن المراغة أنه يبلغ مدحتك في ثلاثة أيام، وقد أقيمت في مدحتك: «خف القطين فراحوا منك أوبكروا» سنة، فما بلغت كل ما أردت، فقال له عبد الملك: فأسمعناها يا أخطل. فأنشده إياها - قال علي بن مجاهد - فجعلت أرى عبد الملك يتناول لها، ثم قال: ويحك يا أخطل! أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب؟ قال: أكتفي بقول أمير المؤمنين، وأمرله بجفنة كانت بين يديه فملئت دراهم وألقى عليه خلعا، وخرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول: هذا شاعر أمير المؤمنين، هذا أشعر العرب.» (3). لقد استمع عبد الملك لقصيدة الأخطل المدحية، وأعجب بها فجعل يستمع باهتمام ويتناول عند الاستماع، ثم همّ بأن يكتب للناس أن هذا أشعر العرب، وقيل إن عبد الملك عندما سمع قصيدة الأخطل:

شُمسُ العداوة حتى يُستقاد لهم وأعظم الناس أحلاما إذا قدرُوا

قال عبد الملك: هذه المزمرة! والله لو وُضعت على زبر الحديد لأذابتها، ثم أمر للأخطل بخلع فخلعت عليه حتى غاب فيها وجعل يقول: «إن لكل قوم شاعرا، وإنّ الأخطل شاعر بني أمية».

وقد قال ذلك بعد أن استمع لجرير في قصائد ثلاث يمدح فيها الحجاج، فلم يتحمس لها عبد الملك وقال: «يا جرير إن الله لم ينصر الحجاج، وإنما نصر خليفته ودينه» (4).

روى الأصمعي عن خالد بن كلثوم أن عبد الملك بن مروان قال للفرزدق: «من أشعر الناس في الإسلام؟ قال: كفاك بابن النصرانية إذا مدح» (5).

1 - عبد العزيز عتيق: المرجع السابق، ص 198 عن ذيل الأمالي للقالبي ص 80.

2- عبد العزيز عتيق: النقد الأدبي عند العرب، ص 200.

3 - إحسان النص: اختيارات من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ص 83

4 - عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 214 نقلا عن الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ج 8 ص 70.

4- عبد العزيز عتيق: المرجع السابق، ص 214 نقلا عن الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ج 7 ص 369

إن الفرزدق هنا يفضل الأخطل من شعراء الإسلام في غرض بعينه هو المدح، ولعل الفرزدق وهو يُسَلَّم بالتفوق لخصمه، يهدف إلى إرضاء الخليفة عبد الملك. وتروي الأخبار أن عبد الملك كان يُعجب بشعر كثير عزة. روى أحدهم أن كثيرا قال لعبد الملك: «كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين: قال: أراه يسبق السحر، ويغلب الشعر.» (1)

ذكر محمد بن سلام أن كثيرا دخل على عبد الملك فأنشده مدحته وفيها:

علي ابن أبي العاص دلاص حَصِينَة **أجاد المُسَدِّي سردها وأذالها.**

(دلاص: درع براقه-المسدي: الحائك وسرد الدروع نسجها بتداخل الحلق-أذالها: أطال ذيلها) فقال له عبد الملك: « أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس بن معدي كَرَب

وإذا تجيء كتيبة مَلْمُومَة **شهباء يخشى الذائدون نَهَالَهَا**
كنتَ المُقَدَّم غيرَ لابسِ جِنَة **بالسيف تضربُ مُعلما أَبطالَهَا**

فقال يا أمير المؤمنين وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم. » (2) وقد كان مجلس عبد الملك مجلس تشيع فيه الحرية، ويحدث فيه الأخذ والرد والتلاسن بين الشعراء، ويبدو أن الخليفة كان يعد نفسه واحدا من هؤلاء، فلا يفرض قيودا على حرية الرأي أو القول، ولذلك فإننا نجد الشعراء يتراشقون بالعبارات القاسية في حضرته. قال أبو الحسن المدائني «وفد جرير على عبد الملك بن مروان فقال عبد الملك للأخطل: أتعرف هذا؟ قال: لا. قال: هذا جرير، قال الأخطل: والذي أعمى رأيك يا جرير ما عرفتك، قال جرير: والذي أعمى بصيرتك وأدام خزيتك، لقد عرفتك لسيماك سيما أهل النار» (3)

وكان عبد الملك يدعو الشعراء إلى نوع من الابتكار، والأصالة، فحين دخل عليه الأخطل مادحا قال له: " إن كنت تشبهني بالحيّة والأسد فلا حاجة لي بشعرك، وإن كنت قلت مثل ما قالت أخت بني الشريد يعني الخنساء، فهات. قال:

وما بلغت كعبُ امرئ متطاوِل **به المجد إلا حيث ما نلت أطولُ**

ودخل عليه عبيد الله بن قيس الرقيات بعد أن أعطاه الأمان، وقد كان من قبل زُبَيْرِي الهوى، فأنشده مادحا:

إن الأغر الذي أبوه ابوالـ **عاصي عليه الوقار والحُجْبُ**

1- عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 214 نقلا عن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ج 8 ص 70

2- عبد العزيز عتيق: المرجع السابق، ص 215 نقلا عن طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي، ص 123

3- عبد العزيز عتيق: المرجع السابق، ص 217 نقلا عن العقد الفريد لابن عبد ربه، ص 297

يَعْتَدِلُ التَّاجَ فَوْقَ مَفْرَقِيهِ عَلَى جَبِينِ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ⁽¹⁾

فقال له عبد الملك: يا ابن قيس: تمدحني بالتاج كأني من العجم وتقول في مصعب بن الزبير:

إِنَّمَا مِصْعَبُ شِهَابٍ مِنَ اللِّـ ه تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلْمَاءُ
مُلْكُهُ مَلِكٌ عِزَّةٌ لَيْسَ فِيهِ جَبْرُوتٌ مِنْهُ وَلَا كِبْرِيَاءُ؟

أما الأمان فقد سبق لك ، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبدا»⁽²⁾ وانتقد الشعراء في عدم براعة الاستهلال، وذلك بمجافاة كلامهم لمقتضى الحال، فقد انتقد ذا الرمة في قصيدته البائية التي يبدأها بقوله:

مَابَالِ "عَيْنِكَ" مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسُكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَةٍ سَرِبُ؟

فغضب عليه إلى أن غير الشاعر البيت فقال:

مَا بَالِ "عَيْنِي" مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسُكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَةٍ سَرِبُ؟

وافتح الأخطل مدحته " المزمرة " بقوله:

خَفَ الْقَطِينِ فَرَاخُوا "مَنْكَ" أَوْ بَكَرُوا وَأَزْعَجْتَهُمْ نَوَى فِي صَرْفِهَا غَيْرُ

فعاب عليه عبد الملك هذا المطلع، وتطيّر من قوله "منك"، وقال لا بل منك، فعاد الأخطل وغير البيت فقال:

خَفَ الْقَطِينِ فَرَاخُوا "اليوم" أَوْ بَكَرُوا وَأَزْعَجْتَهُمْ نَوَى فِي صَرْفِهَا غَيْرُ

كما انتقد جرير عندما قال قصيدته يمدحه بها ويهجو قوم الفرزدق

1- إِنْ الَّذِي حَرَمَ الْمَكَارِمَ تَغْلِبَا جَعَلَ النَّبُوَّةَ وَالْخَلِيفَةَ فِينَا

2- مَضْرُ أَبِي وَأَبُو الْمَلُوكِ فَهَلْ لَكُمْ يَا خُزْرَ تَغْلِبَ مِنْ أَبِ كَابِينَا

3- هَذَا ابْنُ عَمِي فِي دِمَشْقٍ خَلِيفَةً لَوْ شِئْتُ سَأَقُكُمْ إِلَيَّ قَطِينَا

فعندما سمع عبد الملك هذا البيت قال: «ما زاد ابن المراغة على أن جعلني شرطيا له، أما أنه لو قال " لو شاء ساقكم إلي قطينا لسقتهم إليه كما قال»⁽³⁾

وقد كان عبد الملك يتدخل أحيانا لتعديل بعض الأبيات، ذكر ابن قتيبة أن الأقيشر الشاعر دخل على عبد الملك بن مروان وعنده قوم يتذكرون الشعر، فذكروا قول نصيب بن رباح:

1- عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 215 نقلا عن طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ، ص 23

2- عبد العزيز عتيق : المرجع السابق ، ص 219 نقلا عن عن الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ج 7 ص 207-208

3- عبد العزيز عتيق : المرجع السابق ، ص 221 نقلا عن وفيات الأعيان ج 1 ص 145.

أهيم بدعماحييت فإن أمتُ فيا ويح دعدٍ من يهيم بها بعدي
فقال الأقيشر: والله لقد أساء قائل هذا الشعر، قال عبد الملك فكيف كنت تقول لو كنت
قائله، قال كنت أقول:

تحبكم نفسي حياتي فإن أمتُ أوكل بدعدٍ من يهيم بها بعدي
فقال عبد الملك: والله لأنت أسوأ منه قولاً حين تُوكل بها، فقال الأقيشر: فكيف كنت
تقول يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت أقول:

تحبكم نفسي حياتي فإن أمتُ فلا صُحَّتْ دعدٌ لذي خلةٍ بعدي
فقال القوم جميعاً: «أنت والله يا أمير المؤمنين أشعر القوم»⁽¹⁾.

وكان عبد الملك بن مروان يميل إلى الصدق من الشعر، وعدم مخالفة الوقائع اليومية
والواقع التاريخي والاجتماعي، دخل الجحاف بن حكيم الشاعر على عبد الملك، وقد أعطاه
الأمانة بعد غزو بني الغدوكس قبيلة الأخطل، فقال عبد الملك للجحاف أنشدني بعض ما
قلنت في غزوتك فأنشده قوله:

صبرت سليم للطعان وعامرٌ وإذا جزعنا لم نجد من يصبرُ
فقال له عبد الملك، كذبت وما أكثر من يصبر، ثم أنشد الجحاف:

نحن الذين إذا علوا لم يفخروا يوم اللقاء وإن علوا لم يضجروا
فقال عبد الملك: «صدقت، حدثني أبي سفيان بن حرب أنك كنتم كما وصفت يوم فتح مكة»
(2)

فعبد الملك يوفى الجحاف حقه فيما كذب فيه وما صدق، وأنشده الأخطل قوله في الفخر
على قبيلة قيس الجحاف:

ضجوا من الحرب إذ عضت غواربهم وقيس عيلان من أخلاقها الضجر
فقال له عبد الملك لو كان الأمر كما زعمت لما قلت:

لقد أوقع الجحاف بالبشروقة إلى الله منها المشتكي والمعول
ودخل أرتاه بن سُهَيْبِ الشاعر على عبد الملك فاستنشده شيئاً مما كان يناقض به شبيب بن
البرصاء فأنشده:

1- عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 222 نقلا الشعر والشعراء ج1، ص412.

2- عبد العزيز عتيق: المرجع السابق، ص 222 نقلا عن الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ج1 ص110.

أبي كان خيرا من أبيك ولم تزل جنيبا لآبائي وأنت جنيبُ

(الجنيب: الغريب الدخيل)

فقال له عبد الملك: كذبت، شبيب خير منك أبا، ثم أنشد الشاعر:

وما زلت خيرا منك مذ عض كارها برأسك عادي النجاد ركوب

(النجاد: حمائل السيف، وعادي النجاد: ركوب أي عادي الطول كثير الركوب للحرب)

فقال له عبد الملك: صدقت أنت في نفسك خير من شبيب فتعجب من حضر من معرفة عبد الملك بمقادير الناس، وكان الأمر بالفعل كما قال ، فشبيب كان أشرف أبا من أرطاه وكان أرطاه أشرف فعلا ونفسا من شبيب.

ومن أخبار أرطاه مع عبد الملك أنه دخل يوما على الخليفة فقال له «كيف حالك يا أرطاه، فقال - وقد كان أسنّ: "ضعفت أوصالي، وضاع مالي، وقل منى ما كنت أحب كثرته وكثر منى ما كنت أحب قلته، قال عبد الملك: فكيف أنت في شعرك؟ فقال والله يا أمير المؤمنين ما أطرب ولا أغضب، ولا أرغب ولا أرهب، وما يكون الشعر إلا من نتائج هذه الأربعة، وعلى أي القائل:

1- رأيت المرء تأكله الليالي كأكل الأرض ساقطة الحديد

2 - وما تبقى المنية حين تأتي على نفس أبنى آدم من مزيد

3 - واعلم أنها ستكبر حتى توفي نذرها بأبي الوليد

فارتاع عبد الملك وقال: بل توفي نذرها بك، ويلك، مالي ولك؟ فقال أرطاه: لا تجزع يا أمير المؤمنين، فإنما عنيتُ نفسي وكان أرطاه يكتي أبا الوليد، فسكت عبد الملك ثم استعبر باكيا وقال: أما والله على ذلك لتلتمن بي» (1) .

ومن أمثلة نقده لموسيقى الشعر، ما قاله لأبي قيس الرقيّات في قوله:

1 - إن الحوادث بالمدينة قد أوجعنني وقرعن مروتيه

2 - وجببني جبّ السنام فلم يترك لي ريشا في مناكبيه(2)

1- عبدالعزيز عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص224 نقلا عن الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ج:267، 11، 268. - المنكب: مجتمع عظم العضد والكتف ، قال سيبويه هو اسم للعضو ليس على المصدر ولا المكان لأن فعله نكب نكب ينكب يعني أنه لو كان عليه لقال منكب ، ولا يحمل على مطلع ، ، والمنكب من الأرض المكان المرتفع ، وفي جناح الطائر ريش أولها القوادم ثم المناكب ثم الخوافي (لسان العرب) مادة نكب.

فقال له عبد الملك : «أحسننت إلا أنك تخننت في قوافيك فأجاب الشاعر: ما عدوت قول الله عز وجل: " ما أغني عني ماليه، هلك عني سلطانيه".وقد علق أبو هلال العسكري على ذلك فقال:"وليس كماقال، لأنّ فاصلة الآية حسنة الموقع، وفي قوافي شعره لين»⁽¹⁾
 إن عبد الملك بن مروان هوناقده الشّام الأول بلا منازع ، وهوأحسن ناقد من خلفاء بنى أمية، وقد قال عنه أحمد أمين: «إنه قام في نقد المديح بالشّام مقام ابن أبي عتيق في نقد الغزل بالحجاز»⁽¹⁾.

عمر بن عبد العزيز⁽²⁾

يختلف موقف عمر بن عبد العزيز من الشعراء بعد توليه الخلافة عن موقفه قبل ذلك، فقد كان يحب الشعر ويكرّم الشعراء، ولكنه بعد تولّي الخلافة صار متقشفا متحفظا. امتدحه دُكَيْيْنُ بنُ رَجَاءِ الفُقَيْمِي الرَّاجز فجازاه بخمس عشرة ناقة وكان هذا قبل تولّي الخلافة.

ودخل عليه نصيب بمسجد رسول الله (ص) أيام إمارته على المدينة، وهوجالس بين قبرالنبي ومنبره، فقال له نصيب أيها الأمير: ائذن لي أن أنشدك من مرثي عبد العزيز ، فقال له عمر لا تفعل فتحزنني، ولكن أنشدني قولك: "قفا أخوي" فإن شيطانك كان فيها ناصحا حين لقنك إياها، فأنشده أبياتا منها:

- | | |
|----------------------------|--------------------------|
| 1- قفا أخوي إن الدار ليست | كما كانت بعهد كما تكون |
| 2- ليالي تعلمان وآل ليلى | قطين الدار فاحتمل القطين |
| 3- فعوجا فانظرا أتبين عمّا | سألناها به أم لا تبين؟ |
| 4- فظلا واقفين وظل دمعي | على خدي تجود به الجفون |

وبعد تولّي الخلافة تحولت حال الخليفة إلى ذلك الشخص الذي كان يريد إحياء سيرة جدّه لأمه عمر بن الخطاب، حكى رباح بن عبيدة قال: «اشتريت لعمر بن عبد العزيز قبل

1- عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب،، ص 225 نقلا عن كتاب الصناعتين ص450.
 2- عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (717م -720م) ثامن الخلفاء الأمويين، خامس الخلفاء الراشدين من حيث المنظور السني، ويرجع نسبه من أمه إلى عمر بن الخطاب، حيث كانت أمه هي أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وبذلك يصبح الخليفة عمر بن الخطاب جد الخليفة عمر بن عبد العزيز. ولد في المدينة المنورة وقد تلقى علومه وأصول الدين على يد صالح بن كيسان في المدينة المنورة واستفاد كثيراً من علمائها ثم استدعاه عمه الخليفة عبد الملك بن مروان إلى دمشق عاصمة الدولة الأموية وزوجه ابنته فاطمة وعينه أميراً على إمارة صغيرة بالقرب من حلب تسمى دير سمعان وظل والياً عليها حتى سنة 86 هـ.

الخلافة مُطْرَقًا (رداء مربع من خز) بخمسائة فاستخشنه، وقال: لقد اشتريته خشنا جدا، واشتريت له بعد الخلافة كساء بثمانية دراهم فاستلانة وقال: اشتريته لينا جدا» (1).

وكان لعمر غلام يحتطب له ، فقال له يوما: ما يقول الناس يا درهم قال: وما يقولون؟: الناس كلهم بخير، وأنا وأنت بشر، قال وكيف ذلك؟ قال: إني عهدتك قبل الخلافة عَطْرًا لَبَّاسًا فَارِهِ المَرَكَب طَيِّب الطَّعَام، فلما وُلِّيتَ رَجوتُ أن أَسْتريح وَأَتخلص فزاد عملي شدة، وصرت أنت في بلاء، قال فأنت حرّ فاذهب عني ودعني وما أنا فيه حتى يجعل الله لي منه مخرجا» (2).

وقد أراد أن يطبق هذه الطريقة على بني قومه وأقربائه وينشر العدل بين الناس، فقد جمع بني مروان وقال لهم: «أثوا ما في أيديكم من حقوق النَّاس، ولا تُلجئوني إلى ما أكره، فأحملكم على ما تكرهون، فلم يجبه أحد منهم، فقال أجيبوني، فقال رجل منهم، والله لا نخرج من أموالنا التي صارت إلينا من آبائنا، فنُفِّقَرُ أبناءنا، ونُكْفَرُ آباءنا حتى تزايل رؤوسنا أجسادنا، فقال عمر: أما والله لولا أن تستعينوا عليّ بمن أطلب هذا الحق لهم، لأُضْرَعْتُ خُدودكم عاجلا، ولكنني أخاف الفتنة ، ولئن أبقاني الله لأرُدَّنَّ إلى كل ذي حق حقه إن شاء الله. » (3)

كما كان عمر حازما مع ولاته وعماله، قال أبو الزناد كنت كاتباً لعمر بن عبد العزيز، فكان يكتب إلى عامله على المدينة في المظالم، فيراجعها فيها فكتب إليه: «إنه يخيل إلي أني لو كتبت إليك أن تعطي رجلا شاة لكتبت إلي: أضانا أم معزا؟ ولو كتبت إليك بأحدهما لكتبت إلي أذكرا أم أنثى؟! فإذا كتبت إليك في مظلمة فنفذ أمرى ولا تراجعني» (4).

وكان عمر لطيفا متدرجا في تطبيق الأحكام، قال له ابنه عبد الملك مرة: «يا أبت ما لك لا تنفذ الأمور؟ فوالله ما أبالي لو أنَّ القُدور غلت بي وبك في الحق، فقال له عمر: لا تعجل يا بني ، فإن الله ذمَّ الخمر في القرآن الكريم مرتين ثم حرّمها في المرة الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة ، فيدفعوه جملة، ويكون في ذلك فتنة» (5).

1- عبد العزيز عتيق : تاريخ النّقد الأدبي عند العرب ، ص 239 نقلا عن العقد الفريد ج 4، 434

2- عبد العزيز عتيق : المرجع السابق ، ص 239 نقلا عن العقد الفريد ج 4، 434

3- عبد العزيز عتيق المرجع السابق ، ص 241 نقلا عن العقد الفريد ج 4، 434

4- عبد العزيز عتيق : المرجع السابق ، ص 239 نقلا عن العقد الفريد ج 3، 09

5- عبد العزيز عتيق : المرجع السابق ، ص 242 نقلا عن العقد الفريد ج 4، 434

لم يفسح عمر بن عبد العزيز المجال للشعراء للتباري في مدحه بل أوصد الأبواب في وجوههم، فهو يرى في قصائد المديح نفاقا للسلطة الحاكمة، ويرى في العطايا تبذيرا للأموال قال ابن الكلبي، لما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة، وفدت إليه الشعراء، كما كانت تفتد إلى الخلفاء من قبله، فبقي الشعراء بباب القصر منتظرين وهولا يأذن لهم، فلما قدم عون بن عتبة بن مسعود الفقيه، وعليه عمامة قد أرخي طرفيها، صاح به جريراً قائلاً:

1- يا أيها الرجل المرخي عمامته هذا زمانك إني قد مضى زمني

2 - ابلغ خليفتنا إن كنت لاقية إني لدى الباب كالمصفود في قرن

3- وحش المكانة من أهلي ومن ولدي نائي المحلة عن داري وعن وطني

قال: نعم يا أباحزرة، فلما دخل على عمر، قال يا أمير المؤمنين إن الشعراء ببابك، وأقوالهم باقية، وسنانهم مسنونة. قال: ياعون، مالي وللشعراء؟ قال يا أمير المؤمنين: إن النبي قد مدح وأعطى، وفيه أسوة لكل مسلم، قال ومن مدحه؟ قلت عباس بن مرداس فكساه حلة قطع بها لسانه، قال وتروي قوله، قلت نعم، وأنشدته. فلما سمع عمر شعر ابن مرداس، قال لعون، صدقت فمن بالباب منهم، قال عون: جميل بن معمر العذري، قال هو الذي يقول:

1- ألا ليتنا نحيا جميعاً فإن نمت يوافي لدى الموتى ضريحي ضريحها

2 - فما أتانا في طول الحياة براغب إذا قيل قد سوى عليها صفيحها

3- أظل نهاري لا أراها ويلتقي مع الليل روعي في المنام وروحها

أعزبُ به، فوالله لا دخل عليّ أبداً، فمن غير من ذكرت، قلت كثير عزة، قال هو الذي يقول:

1- رهبانُ مدينَ والذين عهدتهم يبكون من حذر العذاب قعوداً

2 - لو يسمعون كما سمعت حديثها خروا لعزة راعين سجوداً

أعزبُ به، فمن بالباب غير من ذكرت؟ قلت همام بن غالب قال: أليس هو القائل يفخر بالزنى.

1 - هما دلتاني من ثمانين قامة كما انقض باز أقتم الريش كاسرّه

2- فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا أحيي يرجي أم قتيل نذاره؟

3- وأصبحت في القوم الجلوس وأصبحت مغلقة دوني عليها دساكره⁽¹⁾

4 - فقلت ارفعوا الأسباب لا يشعروا بنا ووليت في أعقاب ليل أبادره

1- الدساكر جمع دسكرة وهي بناء يشبه القصر حوله بيوت (خزانة الأدب للبغدادى)

أعزبُ به، فوالله لا دَخَلَ عليَّ أبداً، فمن بالباب غيرُ منْ ذكرتَ، قلتَ الأخطلَ التغلبي، قال أليس هو القائل:

- 1- ولست بصائم رمضان عمري
 - 2 - ولست بزاجر عنسا بكورا
 - 3 - ولست بقائم كالعير يدعو
 - 4 - ولكني سأشربها شمولاً⁽¹⁾
- ولست بأكل لحم الأضاحي
إلى بطحاء مكة للنجاح
قبيل الصبح حيّ على الفلاح
واسجد عند مُنبَج الصباح

أعزب به ! فوالله لا وطئ لي بساطاً أبداً وهو كافر، فمن بالباب غير من ذكرت، قلت جرير بن عطية الخطفي، قال أليس هو القائل:

- 1 - لولا مراقبة العيون أريتنا
 - 2 - هل ينهينك أن تقتلن مرقشاً
 - 3 - طرفتك صائدة القلوب وليس ذا
- مُقلّ المها وسوالف الآرام
أوما فعلن بعروة بن حزام
حين الزيارة فأرجعي بسلام

فإن كان ولا بد فهذا، فأذن له، فخرجت إليه فقلتُ ادخل أبا خرزة فدخل وهو يقول:

- 1 - إن الذي بعث النبي محمداً
 - 2 - وسع الخلائق عدله ووفاءه
 - 3- والله أنزل في القرآن فريضة
 - 4 -إني لأرجو منك خيراً عاجلاً
- جعل الخلافة في إمام عادل
حتى ارعوى وأقام ميل المائل
لابن السبيل وللفقير العائل
والنفس مولعة بحب العاجل

فلما مثل بين يديه، قال: اتق الله يا جرير، ولا تقل إلا حقا فأنشأ يقول:

- 1- كم باليمامة من شعَاء مرملة
 - 2 - ممن يَعدُّك تكفى فقد والده
 - 3- يدعوك دعوة ملهوف كأن به
 - 4- إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا
 - 5- نال الخلافة إذ كانت له قدرا
 - 6- هذه الأرامل قد قضيت حاجتها
- ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطير
خَبْلاً من الجن أومسا من البشر
من الخليفة ما نرجوا من المطر
كما أتى ربه موسى على قدر
فمن حاجة هذا الأرملة الذكر؟

1- الشمول: الخمر، وغدير مشمول: تضربه ريح الشمال حتى يبرد ومنه قيل للخمر مشمولة إذا كانت باردة (اللسان)
1(اللسان)

فقال: يا جريرا والله لقد وليتُ هذا الأمر وما أملك إلا ثلاثمائة ؛ فمائة أخذها عبد الله ومائة أخذتها أم عبد الله، يا غلام أعطه المائة الثالثة. فقال : والله يا أمير المؤمنين، إنها لأحب مال إليّ كسبته ثم خرج فقالوا له: ما وراءك، قال: ما يسوءكم، خرجت من عند أمير المؤمنين يعطى الفقراء، ويمنع الشعراء، وإني عنه لراض ثم أنشد يقول:

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الشعراء⁽¹⁾

لقد كان لعمر موقف من الشعر والشعراء، هو الموقف الإسلامي الأول، فهو يرفض شعر الغزل، ويرفض الشعر الخارج عن القيم والأخلاق، ويرفض تبذير الأموال في سبيل المدح، فقد أذن لجريير بالدخول عليه، وقد أكرمه لفقره لا لشعره .

الوليد بن عبد الملك (86 - 96هـ / 705-714)⁽²⁾

تولى الحكم بعد أبيه عبد الملك بن مروان الذي توفي عام 86 للهجرة ، وقد تمت بيعته يوم وفاة والده ، وكان عهده عهد يسر وفتح مبين للمسلمين ، فقد استعمل عمّه عبد الله بن مروان على إفريقيا فعين موسى بن نصير عام 89 وقد كلف هذا الأخير طارق بن زياد بقيادة جيوش المسلمين ، وفي هذه الفترة تم فتح الأندلس ، كما كان للجانب الأدبي أهمية كبرى ، فقد كان بلاط الخليفة الوليد بن عبد الملك منتدى أدبيا يجتمع فيه الأدباء والشعراء والعلماء ، وقد كانت تجرى مناقشات يشترك شخصيا فيها ومن ذلك نذكر الرواية الآتية:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبي عدنان عن إبراهيم بن نافع أن الفرزدق دخل على الوليد بن عبد الملك أو غيره فقال له من أشعر الناس؟ قال أنا قال أفتعلم أحدا أشعر

1- عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 245-246 نقلا عن العقد الفريد ج2، 91- 96

رقى الشيطان : الشعر .

2-

الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو العباس 668-715 حكم من 705 حتى 715. أمه وليدة بنت العباس بن حزن الحارثية العبسية. كان ولي عهد أبيه الخليفة عبد الملك بن مروان في دمشق وولي عهده أخوه سليمان بن عبد الملك. أيام حكم الوليد وفي قمة ازدهار الدولة الأموية وجه القادة من دمشق لفتح البلاد في مختلف الاتجاهات، وكان من رجاله محمد بن القاسم الذي فتح بلاد السند وقتيبة بن مسلم عامل (والى) خراسان الذي فتح بلاد ما وراء النهر وموسى بن نصير الذي انضم إلى طارق بن زياد في فتح غرب أفريقية وفي فتح الأندلس. بلغت الدولة الأموية في عهده أوج عزاها حيث فتحت جيوشه بخارى وسمرقند وخرارزم، وفرغانة والهند وطنجة والأندلس. امتدت في زمنه حدود الدولة الإسلامية من المغرب الأقصى وإسبانيا غربا ووصل اتساع الدولة الأموية إلى بلاد الهند وتركستان فأطراف الصين شرقا في وسط آسيا لتكون بذلك الدولة الأموية أكبر امبراطورية إسلامية عرفها التاريخ.

منك قال لا إلا أن غلاما من بني عدي بن كعب يركب أعجاز الإبل وينعت الفلوات، وكان يعني ذا الرمة ، ثم أتاه جرير فسأله فقال: له مثل ذلك ثم أتاه ذو الرمة فقال له ويحك أنت أشعر الناس ،قال لا ولكن غلام من بني عقيل يقال له مزاحم يسكن الروضات يقول وحشيا من الشعر لا نقدر على أن نقول مثله ، وقال وكان ذو الرمة يتشبه بمي بنت طلبة بن قيس بن عاصم المنقري، وكانت كثيرة أمة مولدة لآل قيس بن عاصم وهي أم سهم بن بردة اللص الذي قتله سنان بن مخيس القشيري أيام محمد بن سليمان فقالت كثيرة

1- على وجه مي مسحة من ملاحه وتحت الثياب الخزي لو كان باديا

2- ألم تر أن الماء يخبت طعمه ولو كان لون الماء في العين صافيا

ونحلتها ذا الرمة فامتعض من ذلك وحلف بجهد أيمانه ما قالها ،قال «وكيف أقول هذا وقد قطعت دهري وأفنيت شبابي أشبب بها وأمدحها ثم أقول هذا، ثم اطلع على أن كثيرة قالتها ونحلتها إياه» (1)

«تشاجر الوليد وأخوه مسلمة بن عبد الملك في شعر امرئ القيس والنابغة الذبياني في وصف طول الليل أيهما أجود، ثم رضيا بالشعبي حكما فأحضر ،فأنشد الوليد ما استحسنته من شعر امرئ القيس في وصف طول الليل ،ثم أنشد أخوه مسلمة ما استحسنته من شعر النابغة في الموضوع ذاته،فضرب الوليد برجله طربا .فقال الشعبي:باننت القضية» (2)

وورد في الأغاني «أن عدي بن الرقاع» (3) أنشد الوليد بن عبد الملك قصيدته التي أولها "عرف الديار توهما فاعتاداها" وعنده كثير، وقد كان يبلغه عن عدي أنه يطعن على شعره ويقول هذا شعر حجازي مقروور إذا أصابه قرّ الشأم جمد وهلك فأنشده إياها حتى أتى على قوله: وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها

فقال له كثير لو كنت مطبوعا أو فصيحاً أو عالماً لم تأت فيها بميل ولا سناد فتحتاج

إلى أن تقومها ثم أنشد :

نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منادها

1- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ، تح : سمير جابر، ط2 ، دار الفكر ، بيروت ج18 ص 30.مكتبة الأدب العربي

، (قرص) اداد الطيب للتسويق والبرامج ، الإصدار الأول 1999 الأردن ، عمان

2- عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب .ص227نقلا عن الموشح للمرزباني ص 32-33.

3- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ج09 ص 360.

فقال له كثير لاجرم أنّ الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء ولأن تكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها ثم أنشد :

وعلمت حتى ما أسائل واحدا عن علم واحدة لكي أزدادها

فقال كثير كذبت ورب البيت الحرام، فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك وما كنت قط أحق منك الآن حيث تظن هذا بنفسك فضحك الوليد ومن حضر وقطع بعدي بن الرقاع حتى ما نطق»⁽¹⁾

سليمان بن عبد الملك⁽²⁾

نصيب يلتقي الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك

ورد في الأغاني أن نصيب وفد على سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدق فاستنشد الفرزدق وهو يرى أنه سينشده مديحا له فأنشده قوله يفتخر

- 1 وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب
- 2 سروايركبون الريح وهي تلفهم على شعب الأكوار من كل جانب
- 3 إذا استوضحوانا رايقولون ليتها وقد خصرت أيديهم نار غالب

(الأكوار : جبال - خصير الرجل إذا ألمه البرد في أطرافه)

¹ - أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني، ج 09 ص 360.

2- سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم (54-99 هـ/674-717 م)، الخليفة الأموي السابع، يعد من خلفاء بني الأمية الاقوياء، ولد ب دمشق وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك عام 96هـ. ومدة خلافته لا تتجاوز السنتين وسبعة شهور. (حكم: 96-99 هـ/715-717 م). كان الناس في دمشق يسمونه مفتاح الخير ويحبونه ويتباركون به ، أشاع العدل وأنصف كل من وقف ببابه، والخليفة سليمان بن عبد الملك يتصف بالجمال والوقار، عظيم الخلقه ، طويل القامة أبيض الوجه مقرون الحاجبين فصيح بليغ ، عمل في فترة تولية الخلافة كل ما فيه مصلحة الناس وحافظ على اتساع وقوة الدولة الأموية وأهتم بكل مايعني الناس، أطلق الأسرى وأخلى السجون وأحسن معاملة الجميع فكسب محبتهم وكان من أعدل خلفاء بني أمية والمسلمين واستخلف عمر بن عبد العزيز من بعده.في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك استمرت الفتوحات الأموية في آسيا وفتحت جرجان وطبرستان، وجهز جيشا كبيرا من سواحل الشام وأعد الأسطول الأموي وسيره في السفن لحصار القسطنطينية، وسار مع الحملة وعزم أن لا يعود حتى تفتح القسطنطينية أو يموت فمات مرابطاً في دابق شمال مدينة حلب.

فغاظ سليمان وكلح في وجهه وقال لنصيب قم فأنشد مولاك وبيك فقام نصيب فأنشده قوله

- 1 قفوا خبروني عن سليمان إنني لمعروفه من أهل ودان طالب
- 2 فعاجوا فأتتوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق
- 3 وقالوا عهدناه وكل عشيّة بأبوابه من طالب العرف راكب
- 4 هو البدر والناس الكواكب حوله ولا تشبه البدر المضيء الكواكب

فقال له سليمان أحسنت والله يا نصيب وأمرله بجائزة ولم يصنع ذلك بالفرزدق فقال الفرزدق وقد خرج من عنده

وخير الشعر أكرمه رجالا وشر الشعر ما قاله العبيد⁽¹⁾

وتفاخر جرير والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك، فقال الفرزدق «أنا ابن محي الموتى فأنكر سليمان قوله فقال يا أمير المؤمنين قال الله تعالى ومن أحيائها فكأنما أحيأ الناس جميعا وجدّي فدى الموعودات فاستحياهن فقال سليمان إنك مع شعرك لفيه»⁽²⁾
قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق «أنشدني أجود شعر عملته فأنشده :

"عزفت بأعشاش وما كدت تعزف" فقال زدني فأنشده ثلاث واثنتان فتلك خمس وواحدة

تميل إلى الشامم فبتن بجانبى مصرعات وبت أفض أغلاق الختام

فقال له سليمان ما أراك إلا قد أحللت نفسك للعقوبة أقررت بالزنى عندي وأنا إمام ولا تريد مني إقامة الحدّ عليك فقال: إن أخذت في بقول الله عز وجل لم تفعل، قال وما قال قال: قال الله تبارك وتعالى: "والشعراء يتبعهم الغاؤون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون" ففعا عنه. «⁽³⁾

قال أبو عبيد «ومن أمثالهم في ولد الشبيبة وما يحب من ذلك إن بني صبية صيفيون أفلح من كان له ربيعون، والولد الصيفي هو الذي يولد للرجل بعد السن والربعي هو الذي يولد له في عنفوان الشباب وهذا المثل يروونه عن سليمان بن عبد الملك، وكان أراد أن يجعل الخلافة في ولده فلم يكن له من ولد يومئذ ولد له في الحداثة وكانوا صغارا إلا ما كان من أمهات الأولاد، فقد كان فيهم من قد بلغ، إلا أنهم كانوا لا يعقدون إلا لأبناء

¹ - أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ج 01 ص 324 .

² - شهاب الدين محمد بن أحمد : المستطرف في كل فن مستظرف ، تح: مفيد محمد قميحة، ط 1986/2 ، دار الكتب

العلمية ، بيروت ص 290/1 (مكتبة الأدب)

³ - أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ج 21 ص 375 .

الحرائر قال الزبير كانت عندهم رواية أن ملكهم يذهب على رأس ابن أمة فكان كذلك ،
والشطران لأكثر بن صيفي وقيل لسعد بن مالك بن قيس بن ضبيعة بن ثعلبة»⁽¹⁾
3 - هشام بن عبد الملك⁽²⁾

دام حكم هشام بن عبد الملك عشرين سنة (105-125)هـ، وعرف هشام بالعدل في حكمه كما كان ورعا تقيا، وعرف عنه الحرص على أموال المسلمين وعدم تبيذرها، وقد دخل عليه صفوان فأطرفه وحدثه ، فقال له سل حاجتك .فقال خالد: ياأمير المؤمنين تزيد في عطائي عشرة دنانير، فأطرق حيناً وقال : فيم؟ ولم؟ وبم؟العبادة أحدثتها؟ أم لبلاء حسن أبلينته في أمير المؤمنين، ألا لا يابن صفوان ،ولو كان لكثرة السؤال ولم يحتمله بيت المال.فقال خالد:وفكك الله ياأمير المؤمنين وسددك فأنت والله كماقال أخو خزاعة :

- 1 إذا المال لم يوجب عليك عطاءه صنيعة قربي أو صديق توافقه
- 2 منعت وبعض المنع حزم وقوة ولم يفتلتك المال إلا حقائقه

وقيل لخالد بن صفوان:«ماحملك على تزيين البخل له: ؟ قال أحببت أن يمنع غيري فيكثر من يلومه»⁽³⁾ وكان هشام بن عبد الملك يرد على من يتهمه بالبخل قائلاً: " أما والله إنا لنعرف الحق إذا نزل، ونكره الإسراف والبخل ، وما نعطي تبيذرا ولا نمنع تقتيرا، وما نحن إلا خزان الله في بلاده ،وأمنأؤه على عباده ، فإذا أذن أعطينا ، وإذا منع أبينا ، ولو

¹- أبو عبيد البكري : فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تح د.إحسان عباس، و د عبد الحميد عابدين ، ط3/1983 مؤسسة الرسالة ، بيروت ص1/222.(مكتبة الأدب العربي).

2- هشام بن عبد الملك (71-125 هـ) (691 م - 743 م) كان عاشر خلفاء بني أمية (حكم: 105-125 هـ/724-743 م)، في عهده بلغت الإمبراطورية الإسلامية أقصى اتساعها، حارب البيزنطيين واستولت جيوشه على ناربونه وبلغت أبواب بواتيه (فرنسا) حيث وقعت معركة بلاط الشهداء. ولد في دمشق. بويح للخلافة بعد وفاة أخيه يزيد عام 723م. وتزايدت في عهده العصبية القبلية بين المضربية واليمانية، واشتعلت فتن وثورات عديدة في أنحاء الدولة: ثورة الخوارج والشيعية في الكوفة (بقيادة زيد بن علي بن الحسين)، والبربر في المغرب؛ وكذلك اضطربت الفتن في بلاد ما وراء النهر، وقد قضى عليها جميعاً بحنكته ودهائه وقوته. في عهده صار للدولة الأموية إضافة للعاصمة الدائمة ومقر الخلافة دمشق، عاصمة صيفية هي مدينة الرصافة على نهر الفرات بسوريا تسمى رصافة هشام عرفت بأنها جنات وبساتين مصغرة عن بساتين دمشق، أهتم بتنظيم الدواوين، وعمل على رعاية العلم والثقافة، وترجمت في عهده الكثير من المؤلفات. عمل على إصلاح الزراعة فجفف المستنقعات وزاد مساحة الأراضي المزروعة على ضفاف الأنهار وفي أرجاء الدولة. واهتم بالتوسعات، وحقق العديد من الانتصارات على الروم وفي جنوبي بحر الخزر. تميز عهده بسيادة الأمان في بلاد الشام وأرجاء البلاد الإسلامية. توفي بالرصافة، ويعتبر من الخلفاء الأمويين الأقوياء.

3- عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب .ص232نقلا عن العقد الفريد ص 176/6

كان كل قائل يصدق ، وكل سائل يستحق ماجبهنا قائلًا ولا رددنا سائلًا»⁽¹⁾ وقد عرف عنه قوة البيان وهو القائل " إن الله رفع درجة اللسان فأنطقه بين الجوارح»⁽²⁾.
 سمع هشام عن أشعب مضحك المدينة فكتب إلى عامله أن يحمله إليه، فلما ختم الكتاب وهم بإرساله أطرق طويلاً ثم قال: هشام يكتب إلى بلد الرسول ليحمل إليه منه مضحك؟ لا والله ثم تمثّل:

إذا أنت طاوحت الهوى قاذك الهوى إلى بعض مافيه عليك مقال
 وأوقف الكتاب»⁽³⁾ وبلغ يزيد بن عبد الملك أن هشاماً أخاه ينتقصه فكتب إليه أن مثلي ومثلك كما قال الأول

- 1 تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد
 2 لعلّ الذي يبغى رداي ويرتجي به قبل موتي أن يكون هو الردي

فكتب إليه هشام إن مثلي ومثلك كما قال الأول :

- 1 ومن لم يُغمض عينه عن صديقه وعن بعض مافيه يمتّ وهو عاتب
 2 ومن يتتبع جاهدا كل عثرة يجدها ولا يبقي له الدهر صاحب

فكتب إليه يزيد يقول: نحن مغتفرون ماكان منك ومكذبون مابلغنا عنك مع حفظ وصية ابينا عبد الملك وماحض عليه من صلاح ذات البين وإني لأعلم أنك كماقال معن بن أوس :

- 1 لعمرك ماأدري وإني لأوجل على أيينا تأتي المنية أول
 2 وإني على أشياء منك تريبني قديما لذو صفح على ذاك مجمل
 3 ستقطع في الدنيا إذاماقطعتني يمينك فانظر أي كـف تبدل
 4 إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل⁽⁴⁾.

ورد في كتاب الأغاني أن نصيب كان إذا قدم على هشام بن عبد الملك أخلى له مجلسه واستنشد مرثي بني أمية فإذا أنشدته بكى وبكى معه فأنشدته يوماً قصيدة له مدحه بها يقول فيها :

إذا استبق الناس العلا سبقتهم يمينك عفوا ثم صلت شمالها

¹ عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب .ص232نقلا عن العقد الفريد ص 4/450

² عبد العزيز عتيق : المرجع السابق .ص232نقلا عن العقد الفريد ص 4/189

³ عبد العزيز عتيق : المرجع السابق .ص233نقلا عن مروج الذهب للمسعودي ص 3/221-222

⁴ عبد العزيز عتيق : المرجع السابق.ص233نقلا عن العقد الفريد ص 4/443.

فقال له هشام «يا أسود بلغت غاية المدح فسلني، فقال يدك بالعطية أجود وأبسط من لساني بمسألتك، فقال هذا والله أحسن من الشعر وحباه وكساه وأحسن جائزته»⁽¹⁾.
وقال يعقوب بن السكيت: «حدثني سلمة النُميري (توفي وله مائة وأربعون سنة) أنه حضر هشاماً وله يومئذ تسع عشرة سنة وحضر جرير والفرزدق والأخطل عنده فأحضر هشام ناقه له فقال متمثلاً: أنيخها ما بدا لي ثم أرحلها، ثم قال أيكم أتم البيت كما أريد فهي له فقال جرير:

كأنها نقتق يعدو بصحراء ، فقال :لم تصنع شيئاً ، فقال الفرزدق:كأنها كاسر بالدو
فتخاء ، فقال لم تعن شيئاً فقال الأخطل:ترخي المشافرواللحيين إرخاء،فقال اركبها لا
حملك الله»⁽²⁾ وقد كان هشام ينتقد بعض الشعراء على عدم حسن الذوق ومن ذلك أنه
« قعد يوماً في صحن داره وأذن للناس إذنا عاما بالدخول فأخذ الناس مجالسهم
وأمر بالنجم الراجزان ينشد وكان مشغوفاً بشعره فأنشد أرجوزته التي أولها:الحمد لله
الوهوب المُجزل

وهي من أجود أراجيز العرب، وهشام يصفق بيديه استحساناً لها فلما بلغ قوله في الشمس :

1- حتى إذا الشمس اجتلاها المَجْثلي بين سماطي شفق مر عبل

2 - صغواء قد كادت ولما تفعل فهي على الأفق كعين الأحول

أمر هشام بوجء رقبته (لكزها) وإخراجه ، وكان هشام أحول»⁽³⁾.

قال يحيى بن عروة بن أذينة «أتى أبي وجماعة من الشعراء هشام بن عبد الملك فنسبهم فلما عرف أبي قال له أنت القائل :

1 لقد علمت وما الإسراف من خلقي أن الذي هورزقي سوف يأتيني

2 أسعى له فيعني تطلبه ولو جلست أتاني لا يعنني

هذان البيتان فقط ذكرهما المهلبي والجوهري وذكر محمد بن جرير في خبره الأبيات كلها

1 لا خير في طمع يدي لمنقصة وعفة من قوام العيش تكفيني

2 لأركب الأمر تزري بي عواقبه ولا يعاب به عرضي ولادي نني

3 كم من فقير غني النفس تعرفه ومن غني فقير النفس مسكين

¹ - أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ج 01 ص 325. السابق

² - أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ج 08 ص 15.

³ - عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب . ص 236 نقلاً عن الشعر والشعراء ص 285/2-286

- 4 من عدو رماني لو قصدت له
 5 ومن أخ لي طوى كشحافقلت له
 6 إني لأنطق فيما كان من أربي
 7 لأبتغي وصل من يبغي مفارقتي
 لم يأخذ النصف مني حين يرميني
 إن انطواعك عني سوف يطويني
 وأكثر الصمت فيما ليس يعنيني
 ولا ألين لمن لا يشتهي ليني

فقال له ابن أذينة نعم أنا قائلها قال أفلا قعدت في بيتك حتى يأتيك رزقك، وغفل عنه هشام فخرج من وقته وركب راحلته ومضى منصرفاً ثم افتقده هشام فعرف خبره فأتبعه بجائزة وقال للرسول قل له أردت أن تكذبنا وتصدق نفسك فمضى الرسول فلحقه وقد نزل على ماء يتغذى عليه فأبلغه رسالته ودفع الجائزة فقال قل له صدقني ربي وكذبك»⁽¹⁾.

خلفاء بني أمية في دمشق	
معاوية بن أبي سفيان، 661-680	تسعة عشرة سنة وثمانية أشهر رجب سنة 60هـ عن 78عاما
يزيد بن معاوية، 680-683	ثلاثة سنين وثمانية أشهر ربيع الأول سنة 64هـ عن 38عاما
معاوية بن يزيد، 683-684	أربعون يوماً سنة 64هـ عن 23عاما
مروان بن الحكم، 684-685	عشرة أشهر رمضان سنة 65هـ عن 71عاما
عبد الملك بن مروان، 685-705	إحدى وعشرون سنة ثوال سنة 86هـ عن 60عاما
الوليد بن عبد الملك، 705-715	تسع سنين وثمانية أشهر جمادى الآخرة سنة 96هـ عن 48عاما
سليمان بن عبد الملك، 715-717	سنتان وثمانية أشهر صفر سنة 99هـ عن 45عاما
عمر بن عبد العزيز، 717-720	سنتان وخمسة أشهر رجب سنة 101هـ عن 40عاما
يزيد بن عبد الملك، 720-724	أربع سنين وشهر شعبان سنة 105هـ عن 38عاما
هشام بن عبد الملك، 724-743	تسعة عشرة سنة وسبعة أشهر ربيع الآخر سنة 125هـ عن 54عاما
الوليد بن يزيد، 743-744	سنة وشهران جمادى الآخرة سنة 126هـ عن 38عاما
يزيد بن الوليد، 744	خمسة أشهر ذي الحجة سنة 126هـ عن 40عاما
إبراهيم بن الوليد، 744	سبعون يوماً خلع سنة 127 ربيع الآخر سنة 132هـ عن 60عاما
مروان بن محمد، 744-750	خمس سنين ذي الحجة سنة 132هـ عن 60عاما

¹ - أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ج 18 ص 233.